



Source : AN..NAHAR
Date : 8-7-93
Photo No. : 189

لقاء نقيضين

لأشهر مضت، ظلت العلاقة الاميركية - المصرية محكومة بنقطة استفهام كبيرة، مردها الوجود المستغرب للشيخ عبد الرحمن في الولايات المتحدة، وحيز التحرك الاعلامي الذي كان يتمتع به فيها. والاستغراب له في الحقيقة ما يبرره. فالحكم المصري الذي يكفره الشيخ عبد الرحمن هو نفسه الحكم الذي ما فتئت الولايات المتحدة تصرف عليه المال والعتاد، وتدعمه سياسيا وعسكريا باعتباره ركنا اساسيا من اركان سيطرتها الاقليمية. ولمذا السبب ايضا قوبلت الاتهامات التي وجهها الرئيس المصري حسني مبارك الى الولايات المتحدة بشيء من التشكيك، واعتبرها البعض دليلا ساطعا على العقلية المؤامراتية التي تتحكم احيانا كثيرة بالحكام العرب عوض ان تكون مؤشرا على تعقيد السياسة الاميركية، حتى لا نقول مكيافيليتها. في اي حال، يبدو ان نقطة الاستفهام زالت، اقله مؤقتا، وان الولايات المتحدة في صدد حسم امرها من الشيخ عبد الرحمن. لكن القرار الاخير القاضي بتوقيفه لا يلقي التساؤلات التي يثيرها مكوئه الطويل في الاراضي الاميركية، وهي تساؤلات كان من الطبيعي ان يطرحها الحليف الامين حسني مبارك، لو لم يكن يعرف، وهو خير العارفين، مدى الارتباطات الاميركية التقليدية مع بعض الجهات الداعمة للاصولية. بالتأكيد، لا يستطيع احد الجزم بما كان عليه بالفعل ارتباط الشيخ عبد الرحمن بالدوائر الاميركية، ولا يمكن تاليا افتراض رهان اميركي (او رهان لبعض الاميركيين) على الحركة الاصولية في مصر. الا انه يمكن، في المقابل، التذكير ببعض الشواهد التاريخية التي تضيء العلاقة المركبة بين الولايات المتحدة والموجبات الاصولية.

لسنين طويلة، اومت تفاعلات الثورة الإيرانية واعتماد لفظية مناهضة بقوة للولايات المتحدة ان اميركا هي "الشیطان الاكبر" بالنسبة الى الاصوليين وان الاصولية هي "امبراطورية الشر" الجديدة بالنسبة الى الاميركيين. بالطبع، لا يمكن انكار الخسارة التي منيت بها الولايات المتحدة بفقدانها التحالف مع ايران الشاه، وان لم تكن قد ايدت كبير استعداد لمساعدته في وجه الثورة. كما لا يمكن تجاهل وقع حادثة احتجاز الرهائن الاميركيين في السفارة الاميركية في طهران، من ثم اختطاف الاجانب في لبنان، على نظرة الرأي العام لهذه العلاقة. الا انه لا يمكن ايضا، وبالمقدار نفسه، استنتاج عدااء دائم بين القوة الاميركية والحركات السياسية المتخذة لها من الدين عمادا. فمثل هذا الاستنتاج خاطئ لسببين اساسيين، اولهما ان الطريقة الإيرانية، اذا جاز التعبير لا تختصر وحدها الاصولية الاسلامية. فهناك اصوليات اخرى ارتبطت هي، ومن دون اي حرج، بالقوة الاميركية، وفي طليعتها الاصولية الوهابية الحاكمة في الجزيرة العربية، والممتدة الى اطراف الجسم العربي كافة، لاسيما بعد تمويلها المقاومة الاسلامية في افغانستان وتنظيمها المساهمة العربية فيها. اما السبب الثاني، فهو ان التناقض الايديولوجي بين الثورة الإيرانية وشيطانها الاكبر لم يؤد قط الى قطيعة كاملة بين الطرفين. على العكس، باركت الولايات المتحدة قيام اسرائيل بتزويد الجيش الايراني بالعتاد الحربي والذخائر من صنع اميركي. ثم ما لبثت ان قامت هي نفسها بشحن الاسلحة الى ايران تحت ستار حل ازمة الرهائن، في ما عرف بفضيحة "ايرانغيت"، وهي الفضيحة التي لم يكتب بعد عن جانبها العربي - الاسلامي ما يفي العقائق المادية.

والأدل من ذلك كله ان العاملين المشار اليهما اخذا يجتمعان منذ فترة قريبة، وتحديدًا منذ حرب الخليج (وربما وجب القول ايضا منذ عودة "الافغان" المتأثرين في آن معا بالاصولية الوهابية، والاصولية الإيرانية). ويمكن رصد هذا الالتقاء في اماكن عدة من العالم العربي: في الجزائر مثلا، وفي فلسطين ايضا، وربما في مصر. بإزاء هذه الخلفية، يفقد الاستغراب الشائع لاستقبال الولايات المتحدة الشيخ عبد الرحمن جزءا من مبرراته. بل يكاد يصبح نفسه موضع استغراب، ولعل سببه الجهل او الأفرط في السذاجة. بديهي ان التذكير بهذه العناصر لا يعطي بالضرورة جوابا كاملا على "لغز" العلاقة بين الولايات المتحدة والاصولية المصرية. الفرض منه فقط محاولة فهم ما يحدو بعض المقررين في الولايات المتحدة الى استضافة الشيخ عبد الرحمن وقبيله التونسي راشد الغنوشي. قد لا يكون هذا التوجه غالبا في الادارة الاميركية اليوم، وهذا ما قد يتبته تسليم الشيخ عبد الرحمن الى مصر، اذا حصل التسليم. لكننا لا نجازف اذا اعتبرنا انه على الاقل يهدف الى اختبار تحالفات بديلة في المنطقة، في حال سقطت التحالفات القائمة.

سمير قصير